خالد بن الوليد

على فراش المرض في حمص

نذير الحسامي

في أواخر الليل ومع أول بزوغ الفجر من إحدى ليالي العام ٢١ للهجرة (٦٤٢) م ، حمل الأثير في الضاحية الشمالية لمدينة حمص أصداء حزينة لحديث ذي شجون يصدر عن شبح لرجل في الثامنة والخمسين من عمره مهيب الطلعة حاد الملامح يتململ على فراش المرض في حجرة متواضعة من منزل قديم . فاذا دنا السامع يتأمل صاحب هذا الحديث تبين أنه للصحابي البطل سيف الله خالد بن الوليد وقد علق بصره بسيفه ودرعه معلقين على الحائط تجاه فراشه وكأنه يراهما قلقين يبثانه همهما من الراحة ومن طول الليل عليهما ؛ ويراهما المتأمل كأنهما في حوار شجي صامت مع صاحبهما المريض . وتبدو على أسارير خالد ظلال شاحبة من غضب حزين وهو ينظر اليهما على ضوء شعاع حييّ يتسلل من الفجر ويقرأ في صفحاتهما سطور ماض مجيد ... ثم يسمع صهيل فرسه في صحن الدار وكأنها تشكو الى فارسها ضجرها من طول ما استجمت بعيدة عن ميادين القتال .

ويأخذ خالد في حديث المتوجع المتحفز معسيفه ودرعه والعرق يتصبب من جبينه المشرع، مستذكراً وقائع البطولات في معارك الفتح التي خاضها مظفراً على جواده وقهر فيها أعداءه وأعداء الدعوة الى الحق ويأخذ في القولمترسلاً مع الذكريات البعيدة والقريبة وهو كالليث المكبل في مضجعه ، بعد أن عزل عن إمارة حمص :

☐ **خالد مع سيفه :**

خلّني منك طال بعدك عني   يا أخي في دجى الخطوب وخذني
أتناسيت ما قرأنا وسطّرنا على الدهر في نهار ودجنٍ ؟